سلسلة البحوث والدراسات

١٠



الأثر النفسي للوقف على الواقف

إعداد

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم السماعيل

١٤٤٧هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

يُعدّ بذل المال في التصور الإسلامي سلوكًا تعبديًا يتجاوز كونه تصرّفًا ماليًا، إذ يرتبط ارتباطًا وثيقًا بتزكية النفس وتحقيق القرب من الله تعالى، وقد قرر القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ آل عمران: ٩٢، بما يدل على أن الإنفاق الصادق هو طريقٌ إلى تحقيق البرّ، وأن أثره يمتد إلى داخل النفس قبل أن ينعكس على المجتمع.

يمثّل الوقف صورة متقدمة من صور بذل المال، لما يتسم به من الاستمرارية والدوام، وهو من الصدقات الجارية التي يبقى أجرها ممتدًا بعد وفاة صاحبها، كما في قوله ﷺ: إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، هذا البعد الاستمراري يمنح للوقف خصوصية تعبديّة ذات آثار نفسية عميقة على الواقف، يمكن تلخيصها في عدة نقاط:

١. الوقف وأثره في تخفيف القلق النفسي:

يرتبط القلق النفسي في كثير من الأحيان بالخوف من الفقد وعدم اليقين بالمستقبل، لا سيما فيما يتصل بالموارد المادية قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاءِ ۖ وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلًا ۗ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ البقرة: ٢٦٨، والوقف وهو أحد صور بذل المال يسهم بشكل واضح في إعادة تشكيل علاقة الإنسان بالمال،

بحيث يتحول من مصدر انشغال وقلق إلى وسيلة قربة وعبادة، ويمنح هذا التحول الواقف شعورًا بالأمان النفسي والطمأنينة، لاسيما في ظل اليقين بوعد الله تعالى بالخلف والعوض كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ سورة سبأ: ٣٩.

٢.الوقف وأثره في الطمأنينة والسكينة النفسية:

يسهم الوقف في إحداث حالة من السكينة الداخلية كما جاء في قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ سورة البقرة: ٢٧٤، فيشعر الواقف بأن ماله أصبح وسيلة للطمأنينة والسكينة النفسية وليس عبئًا نفسيًا جالبًا للقلق والخوف.

٣.الوقف وأثره في الرضا الذاتي والشعور بالإيجابية:

يمنح الوقف الواقف شعورًا بالرضا الذاتي لكونه أسهم في نفع الآخرين نفعًا متعديًا يحقق له مكانة معنوية سامية، ويمنحه رضا داخليًا واستقرارًا نفسيًا نابعين من انسجام سلوكه مع قيمه الإيمانية إذ يربط قيمته ومعناه الحقيقي كإنسان بمقدار نفعه للآخرين مصداقًا لقوله ﷺ: خيرُ الناس أنفعهم للناس.

٤.الوقف وأثره في تهذيب النفس وتزكيتها:

يُسهم الوقف يُسهم الوقف في تهذيب نفس الواقف وتزكيتها من خلال كسر حدة الأنانية وتوسيع دائرة الاهتمام بالآخرين، قال تعالى: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ سورة التوبة: ١٠٣، فمن خلال تحويل

المال إلى صدقة جارية (وقف)، يسمو الواقف بقيمه الروحية، ويتحقق له التوازن بين متطلبات الدنيا وتطلعات الآخرة، فتتزكى النفس ويقوى الشعور بالرضا والسكينة الداخلية.

٥. الوقف وأثره في العطاء وبقاء الأثر:

يربط الإسلام بين العطاء وبقاء الأثر، والوقف كصدقة جارية يمنح للموقف شعورًا بأن لحياته امتدادًا ومعنى كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾ البقرة: ٢٧٢، وقول النبي ﷺ: إِذَا مَاتَ ابنُ آدم انْقَطَعَ عَنْهُ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أو عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ. رَوَاهُ مُسْلِم.

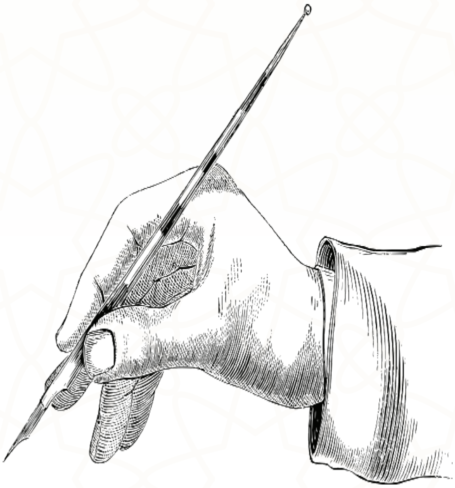
٦. الوقف وأثره في تنمية القيم الإيمانية لدى الواقف:

يُعدّ الوقف من أبرز الممارسات التعبدية التي تُسهم في تنمية القيم الإيمانية لدى الواقف؛ إذ يجسّد معاني الإخلاص، والتجرّد عن حظوظ النفس، وحسن التوكل على الله تعالى. فإقدام الواقف على حبس ماله ابتغاء مرضاة الله يعكس مستوى متقدمًا من اليقين بوعد الله وحسن الظن بالله، والثقة بوعده، ويُدرّب النفس على البذل دون انتظار مقابل دنيوي. ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا﴾ سورة الإنسان: ٩ .

٧. الوقف وأثره في النضج النفسي وكسر النزعة الأنانية:

يُسهم الوقف في تحقيق مستوى متقدم من النضج النفسي لدى الواقف، كونه ممارسة عملية لتجاوز الأنانية وتعزيز الإيثار، فينقله

من دائرة الاهتمام بالمصلحة الذاتية الضيقة إلى أفق أوسع قوامه الإحساس بالآخرين والمسؤولية تجاههم. فقرار حبس المال وتوجيه منافعه للغير يمثّل تجاوزًا عمليًا لنزعة التملك والأنانية، ويعكس قدرة نفسية على تأجيل الإشباع، وتقديم القيم المعنوية على المكاسب المادية الآنية.



كتبه

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن عبدالله

بن إبراهيم بن عبدالرحمن آل إسماعيل

imis1234@gmail.com

1447/6/29هـ